

الأستاذ السعيد بوسقطة
قسم اللغة العربية وآدابها
جامعة باجي مختار - عنابة

القصيدة السبعينية الجزائرية
بين الخطاب الشعري والإيديولوجي

ملخص :

تسعى هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على القصيدة السبعينية الجزائرية في جدليتها بين الشعري والإيديولوجي. وذلك عبر نماذج مختارة لنصوص شعرية متنوعة الاتجاهات.

Le poème algérien des années 1970 Entre le poétique et l'idéologique

Résumé :

Dans cet essai on a essayé de faire la lumière sur les rapports entre le poétique et l'idéologique dans la poésie des années 1970.

L'analyse s'appuie sur des extraits prisent de tendance poétique divergente.

توطئة:

إن حركية الشعر الجزائري ذات سمات مغايرة، وقد أخضعت لما سمي

بالجيلية:

جيل ما قبل الثورة، وجيل الثورة، وجيل السبعينات، وجيل الثمانينات.... وقد أضفى هذا التقسيم إلى بروز صراعات ومواقف متباينة حول بنية النص ورسالته. لقد كان لكل مرحلة منطلقاتها وتوجهاتها الأساسية، مما جعل نصوصها تتسم بالقصدية، لاعتبارات موضوعية، حيث جاءت في الأساس تعبيراً عن خطاب إيديولوجي معين.

فإذا كان الجيل الأول قد اهتم بالحرية السياسية أكثر من غيرها بخطاب ميزته الأساسية النبرة الخطابية، فإن الجيل الجديد قد اهتم في أغلب الأحيان بالمضامين الاجتماعية، وظهر الاهتمام أكثر بالأفكار التي تعبر عن حركة المجتمع في سعيه لتحقيق حياة أفضل.

لقد شهد الواقع الشعري مع الجيل الجديد تحولاً ملحوظاً على المستويين الفني والفكري خاصة مع القصيدة السبعينية التي رصدت التحولات العميقة التي عرفها المجتمع الجزائري عبر نصوص تجادل فيها الشعري والإيديولوجي. وانطلاقاً من هذا ستحاول هذه المداخلة المتواضعة الكشف عن تلك الجدلية عبر محورين:

1- سيميائية العنوان: المجموعات الشعرية.

2- الخطاب/ الشعري/ الإيديولوجي.

1- سيميائية العنوان:

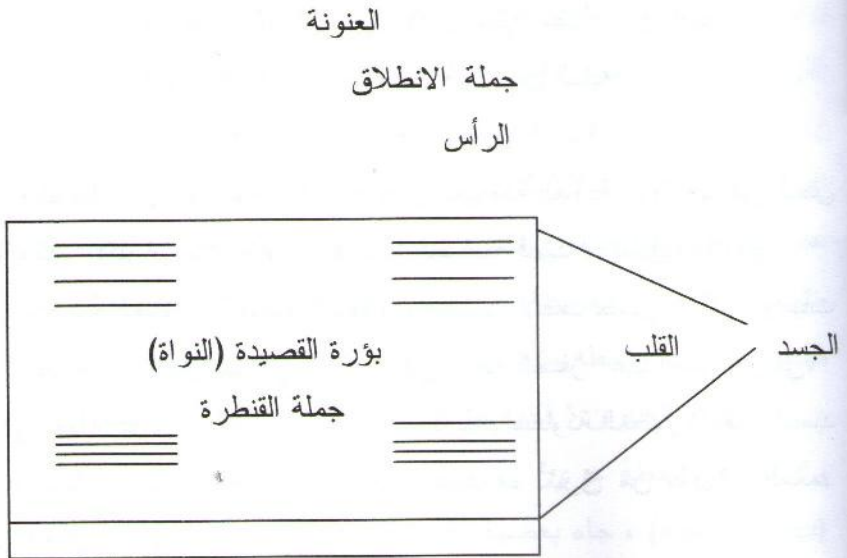
لقد أولت الدراسات الحديثة أهمية كبرى للعنوان باعتباره مصطلحاً إجرائياً في مقارنة النص الأدبي ومفتاحاً أساسياً يتسلح به الدارس للولوج إلى أغوار النص العميقة قصد استنطاقها وتأويلها عبر تفكيكها وإعادة تركيبها. لقد أظهرت البحوث السيميولوجية أهمية العنوان في دراسة النص الأدبي نظراً للوظائف الأساسية (مرجعية - إفهامية - تحفيزية - تعيينية) التي تربطه بالنص وبالقارئ. وقد تعددت هذه الدراسات سواء أكانت لسانية أو سيميائية منها: دراسات جيرأوجنيت ريفاتير، روبرت شولز، ليوهديك، جون كوهين وغيرهم. فالناقد رولان بارت (1) يرى أن العناوين عبارة عن أنظمة دلالية سيمولوجية تحمل فيما أخلاقية واجتماعية وإيديولوجية، فاللباس، السيارة، الإيماء، الأثاث، عنوان الجريدة، اللوحة الإشهارية، هي أدلة تعطي فكرة عن الوضع الاجتماعي، الأخلاقي والإيديولوجي.

تعد العناوين علامات يغلب عليها الطابع الإيحائي تقوم في الأساس بوظيفة الاحتواء لمدلول النص، غير أن هناك من قام بتحليلها بناء على وظائف اللغة التي نادى بها جاكسون وهي : الانفعالية، والمرجعية، والانتباهية، والجمالية، والميتالغوية ، والتأثيرية (2).

كما تشمل وظائف أخرى نادى بها آخرون كالتعينية، والإيقونية والإيديولوجية وغيرها، فيما حددها جيرار جنيت (3) في أربعة وظائف هي: الإغراء، والإيحاء، والوصف والتعيين.

ويعد العنوان بمثابة الرأس للجسد، إذ يحدد هوية القصيدة المبنية على مقومات " العنوان، البؤرة، النهاية ".

الشكل:



الخاتمة: نهاية النص، جملة الهدف

إن العنوان من خلال طبيعته المرجعية الاحالية غالبا ما يتضمن أبعادا تناسية وبالتالي فهو دال إشاري وإحالي يكشف الغامض ويعلن قصيدة المبدع ومراميه الإيديولوجية، ومن ثمة فهو ليس عنصرا زائدا ، بل هو عنصر ضروري ذو أهمية في مقاربة النصوص بنية ودلالة ووظيفة ، إلا أننا وجدنا من يدعو إلى هدمه من أجل إضاءة النص لكونه يخفي النص بالاختصار، مما أدى إلى الهجوم والتمرد على العنوان بوسائل شتى ، منها :

- إذا كان العنوان آلة - machine لمحو نصه ، فإن النص آلة لقراءة عنوانه، وبالتالي يعيد إنتاجه في شكل ملفوظ نصي ، وتختلف ظاهرة العنونة (4) مع الأشكال السردية في تركيبها، إذ يلاحظ ازدواجية في العنوان خاصة في إبداعات الأديب : واسيني الأعرج ، في أعماله التالية :

- نوار اللوز/ تغريبة صالح بن عامر الزوفري
- ضمير الغائب/ الشاهد الأخير على اغتيال مدن البحر
- فاجعة الليلة السابعة بعد الألف/ رمل الماية
- سيدة المقام/ مراثيات اليوم الحزين

وانطلاقا من الطروحات السابقة حول مفهومية العنونة ووظائفها في النص الأدبي، يمكننا الاقتراب من عناوين القصيدة السبعينية قصد استنطاقها وتأويلها. من هذه العناوين " قائمة المغضوب عليهم" لأحمد حمدي ، "من يوميات متسكع محظوظ" لسليمان جوادي، " الحب في درجة الصفر" عبد العالي رزاق، " الكتابة في لحظة عري" لأحلام مستغانمي، " قصائد متفاوتة الخطورة" لعبد الحميد شكيل، " الكتابة بالنار" لعثمان لوصيف، "خضراء تشرق من طهران" لمحمد مصطفى الغماري....

لعل الدارس لهذه العناوين يقف على حقيقة مفادها أن العنوان أصبح ضرباً لما هو مائل في الواقع عبر مجموعة من الملفوظات ذات علاقة حميمية بالعنوان ، الذي تكاد وظيفته الأساسية تنحصر في إبراز الدلالات التي تتمحور حولها

النصوص ويحشد كيائها "صوراً وتركيباً وإيقاعاً" في سياقاتها المختلفة، وهي تتبوأ مكانتها على جسد النصوص ، لا بوصفها معانٍ أو مفاهيم منفصلة عن الملفوظ ، بل بوصفها مظهراً من مظاهر النص وحضوره الفيزيائي . ولا يتوقف هذا الحشد من دلالات الرفض على ما يشتمل عليه العنوان من مخزون دلالي وحسب، وإنما يتعدى ذلك إلى النصوص التي تتكشف باستمرار عن هذه البنية المهيمنة، وتبرز شعرية العناوين بما تضمنته من طاقات إيحائية وترميزية ، يتجلى من خلالها المسكوت عنه.

إن عناوين المجموعات ترجمة لتناقضات الواقع باعتمادها على جملة من الإشارات ذات مرجعيات متعددة ، وهي فواتح لنصوص ملتزمة في أبعاد عدة: البعد الوطني، والبعد القومي ، والبعد الديني ، والبعد الإنساني ، إلا أنها متشعبة في مشاربها الفكرية والايديولوجية. فالعنوان لا يتمظهر على شاكلة واحدة ، وإنما يرد بكيفيات مختلفة تتحكم فيه عدة عوامل مرتبطة بالمرجعيات الثقافية وبالظروف التي يروج فيه النص (مهما كان جنسه). وما دامت القصيدة السبعينية ذات ايديولوجية محددة ، فإن عناوينها جاءت في شكل دليل يسمح بالتعرف على النص عبر مجموعة من الدلالات تكشف عما يحتويه النص من أفكار ورؤى، غير أن هذه القصيدة رغم وضوح ايديولوجيتها ، فقد جاءت بعض عناوينها مفخخة ملغزة مشبعة بالإثارة والتحريض والإشهار، فهي على جانب من الإغراء والتشويق تستفز القارئ ، وتجعله متأهباً للولوج إلى أعماق النص.

فهذه العناوين " قائمة المغضوب عليهم" ، و"ما ذنب المسمار يا خشبة " ، و"الكتابة في لحظة عري" ، و"خضراء تشرق من طهران " ذات مرجعية متعددة (دينية - شعبية) ، جاء بعضها في شكل إيحائي ، وآخر في شكل تفسيري . كما اتصفت في بعض جوانبها بالغرابة والتشويق ، إضافة إلى أن عناوين مثل "الحب في درجة الصفر" ، و"من يوميات متسكع محظوظ" قد جاءت بتعبير السيموطيقيين في حالة مقلوبة أو ذات مضمون مقلوب (contenu inverse) .

وتبقى هذه العناوين بما تضمنته من قصائد رغم تباينها الإيديولوجي (الصراع بين رؤيتين شعريتين متفاوتتين - (النقدميون - الإسلاميون) تعكس انشطارية الذات المبدعة الرافضة للقيم السائدة المتسمة بالتناقضات، الباحثة عن البديل، وهي سمات متكررة في المعجم الشعري السبعيني بدرجة لافتة للنظر . فمن خلال ملفوظات العناوين، تبدو فترة السبعينات قد غلبت عليها المواقف السياسية بشكل سافر⁽⁵⁾، فأغرقت بكاملها في الهم السياسي المؤدلج، دون محاولة تطوير المدلول الشعري ليكون متميزا، لم يأت سوى نموذج لتجارب غير جزائرية في الغالب .

لقد ظل الصراع قائما في هذه التجربة بين قطبين رئيسيين، أو بين رؤيتين شعريتين متباينتين، هما: الرؤية الاشتراكية (النقدية، الثورية)، والرؤية الدينية. ولكل رؤية بنيتها المعجمية، وهي تعد مفاتيح توضح وتثير البنية الشعرية، نظرا إلى الشحنة الدلالية والمدلول الإيديولوجي، الذي تختزنه الأسماء (الرموز) بأنماطها المختلفة.

وقد ظلت القضية الاجتماعية هي المهيمنة على النتاج الشعري في صيغ مختلفة وبأشكال شتى تعكس في مجملها موقفا موحدا ينحاز إلى التغيير والتضامن مع المقهورين والالتزام بقضاياهم، ضمن قيم متباينة، اشتراكية وإسلامية، منها هذا النموذج للشاعر عبد العالي رزاق، من قصيدة له بعنوان " أغنية إلى مستفيد من الثورة الزراعية"⁽⁶⁾ .

يا أيها الشعراء/ حولنا السفينة إلى ميناء جديد/

لغة المناجل والمعاول/ علمتنا كيف نحرث/ كيف نزرع/

كيف نحصد/ كيف نبني/ كيف نعلي/ كيف نصبح ثائرين/

إنه نموذج من النماذج التي تعكس رؤاهم الرافضة لواقع نفعي، كما تبرز

الكثير من النصوص قلقها الوجودي في ثنائية تقابلية بين الطموح والانكسار.

إن عملية الجمع بين هذه الثنائيات الضدية قد أسهم في تعميق صلة العنوان بالنصوص، خاصة استمراريته ضمن قصائد المجموعات. والملاحظ أن هذه العناوين تبدو جذابة ومثيرة، خولت لها هذه السمات أن تمارس سلطتها على القارئ. وقد جاءت في قالب تفسيري للواقع الجديد بكل مظاهره، تمكن الشعراء من خلالها اختزال المرحلة. فبمجرد ذكر العناوين يمكن بسهولة تحديد السياق العام للنصوص .

2 - القصيدة السبعينية: الشعري/ الإيديولوجي

للإيديولوجية نمط يختلف عن الشعر والفن عموماً، غير أنه لا يمكن تجاهل ذلك الترابط بين الطرفين، ذلك أن الشعر موقف جمالي من الواقع، وهو كذلك خطاب بين المرسل والمرسل إليه، إلا أن لكل منهما موقعه ومنظوره . فالشعر بوصفه موقفاً وخطاباً جماليين ينطوي بالضرورة على خطاب إيديولوجي ما، ومن ثمة فإنه يتحدد إيديولوجياً مثلما يتحدد لغوياً وذاتياً.

غير أن ذلك لا يؤدي حتماً إلى الإيديولوجية، وإلا فقد شعر يته وهيمنت عليه الإيديولوجية ليجد نفسه في الأخير مجرد أدب شعراتي . ومع ذلك ، فإن للخطاب الشعري بعداً إيديولوجياً يتجلى في عدة مستويات من النص : مستويات النص ومستويات التلقي .

من هذا المنطلق ، تحاول الدراسة الوقوف عن التجربة الجمالية في القصيدة السبعينية (من خلال نماذج) ، والشكل الذي تتخذه في الشعر، لما لذلك من أهمية في تبيان العلاقة بين الخطاب الشعري والإيديولوجي .

إن التجربة الجمالية عموماً تتصف بعدة صفات أساسية ⁽⁷⁾ هي : الحسية، والانفعالية، واللائقية، إلا أنها تبقى في الغالب محكومة بالحسية (الحامل المادي) والانفعالية (المظهر النفسي)، ولن تكون هذه التجربة جمالية بكل ما يعنيه المصطلح إلا إذا تحررت من الدوافع (اللائقية). وما دام الشعر هو نتاج التجربة

الجمالية، فإنه يتصف في شكله بالحسية والانفعالية، مثلما يتصف في تناوله للموضوعات باللانفعالية الإيديولوجية.

لذا ، لا يجوز أن نتعامل معه على أنه ذو وظيفة إيديولوجية مباشرة، لأنه ليس انعكاسا لكل من التجربة الذاتية والوعي الجمالي العام ، وهو لذلك يتقاطع مع الإيديولوجية أو يتأسس على أطروحتها المختلفة. وبالإضافة إلى ذلك، فهو يتصف بالمجازية والصورية اللتين بواسطتهما يعيد إنتاج الموضوعات الحسية والانفعالات الجمالية، تجعله يتحرر من الطبيعة الواقعية للموضوع، لذا فهو يمثل موقفا من الواقع والإيديولوجية معا، خاصة أن غاية الشعر هي كشف الزائف في الوجود الاجتماعي، وبلورة كل ما هو أصيل، من منظور الذات . لذلك ، فمن المنطقي أن يكون ذلك الطرح ذا بعد إيديولوجي خاص بتلك الذات.

غير أن الشعر ينطوي على الحقيقي والموضوعي، بالرغم من حضور الإيديولوجي فيه، وهو ما يبرزه أدرنو في قوله : « بعض أعمال الفن تكون إيديولوجية قلبا وقالبا، ومع ذلك فإن مضمون الحقيقة يبقى قادرا على الحضور في هذه الأعمال » (8).

ومن ثمة، فهناك تجادل بين الحقيقي والإيديولوجي، فهما لا يمثلان ثنائية، بقدر ما يدخلان في وحدة تخيلية، يصعب تجزئتها في الفن. فالجمال الذي يطرحه الفن هو نتاج الحقيقي والإيديولوجي، مثلما هو نتاج الذاتي والتخيلي.

لقد تجلّى الخطاب الإيديولوجي في النص الشعري في عدة مستويات، كالرؤيا الكلية ، والنموذج الفني ، والصورة والرمز ، وكان لهذا الجانب تأثير سلبي في بعض الجوانب ، ويمكن إبراز علاقة الشعر بالإيديولوجية من خلال محاورين:

أ- النص بوصفه خطابا إيديولوجيا، وهو يتضمن الشعري والإيديولوجي.

ب - الإيديولوجية بوصفها نصا، وفيه ينحرف النص من كونه خطابا جماليا إلى كونه إيديولوجية وحسب. ويبدو من خلال السياق العام للنصوص أن هناك تداخلا بين المحورين، إضافة إلى اختلاف في الطروحات بين الحركتين: حركة الحداثة الشعرية المشرقية والقصيدة السبعينية في الجزائر .

إن النص الشعري السبعيني كغيره من نصوص التجربة الشعرية الجديدة - وإن اختلف فنيا - قد اتخذ موقفا من الواقع عبر مستويات عدة ، تمحورت حول الموقف الثوري من الواقع الاجتماعي، حيث عبرت النصوص عن كل ما هو سلبي، مستوعبة ما طرحه الواقع من إشكاليات: ذاتية، وروحية، واجتماعية، عبر مستوى رؤيا كلية ذات أنماط متعددة، من أكثرها بروزا النمط البطولي والنمط التراجيدي. وقد أذان الشاعر ، من خلالهما ، الواقع الاجتماعي وسعى إلى تغيير المجتمع ، اعتمادا على الطليعة الثورية. وهذه المواقف يمثلها شعراء اليسار بصورة خاصة . غير أن التجربة الشعرية السبعينية قد أفرزت طرعا مغايرا، يمثلها مصطفى الغماري، الذي تتجلى في نصوصه ملامح التوجه الإسلامي. وهذه المواقف - سواء أكانت يسارية، أم إسلامية - تكاد تكون ذات معجم موحد، يحمل دلالات التمرد والثورة، لرسم معالم أفق جديد.

لقد نظر كثير من النقاد إلى النص بوصفه نشاطا إنسانيا ينطوي على حاجس التواصل والفعالية الجمالية، أي فعالية منطوية على قصدية ما ، وترتبط بمجموعة من العناصر وتتفاعل مع بُنى متعددة . ويخضع هذا النص إلى عملية تأثير وتأثر متبادلتين ما دام إحالة إلى إطار مرجعي برغم انغلاقه، وما دام هذا الإطار المرجعي ككل يعني النص الأدبي في واحد من المستويات الاجتماعية هو المستوى الإيديولوجي، يصبح القول بتجادلها صحيحا ، لذا عدّ النص وسيطا إيديولوجيا لكونه موقفا ابتدعه صاحبه من أجل شيء محدد التأثير .

إن الخطاب الشعري هو خطاب جمالي ينطوي على درجة من الإيديولوجية ، فهو بالدرجة الأولى موقف من الواقع، ثم هو صادر من مرسل إلى

متلق ، وما دام النص الشعري مجازيا تخييليا ، فإنه قابل لتغيير خطابه الإيديولوجي وفق ما يتطلبه الموقف وحسب مستويات القراء ، من دون أن يتحول إلى إيديولوجية محضة . ويتجلى ذلك البعد الإيديولوجي في النص - كما لاحظنا سابقا - عبر عدة مستويات ، يتخذ خلالها موقفا ثوريا من الواقع الذي يبدو محكوما بكل مظاهر القمع ، مما يجعل الهدف من هذه النصوص - في الغالب - هو تصوير الانكسارات المتتالية.

إن التعامل مع الملامح الأسلوبية للنصوص السبعينية يبرز مدى سيطرة النزعة الإيديولوجية بشكل صارخ إلى درجة أصبح فيها النص الشعري بمثابة فقرة سياسية ، ويتضح ذلك من خلال التركيز على نمط معين من الألفاظ والتراكيب المتعلقة بالإيديولوجية ، مثل : "الأحرف الحمراء" ، "الرفاق" ، "مأدبة الجياع" ، "الفقراء التعساء" ، "الفلاح" ، "العامل" ، "السنابل" ، فهي سمات تشترك فيها النصوص السبعينية . وفيما يلي نماذج لأحلام مستغانمي من ديوانها "الكتابة في لحظة عري" (9) :

واليوم أول نوفمبر

بعد أيام عيد الفطر

هذا الصباح خمسة عشر نائر سقطوا في مدينة عربية رميا بالرصاص

أفتحي مقابر أيتها الأرض الطيبة

تأمين المياه لمن هم تحت

قبل توفير الويسكي لمن هم فوق

الشعب وحده المجاهد الأكبر

دخنا دنهيل في انتظار الحرب القادمة

لا نريد جمهورية ملكية

من أين لك هذا

كفرنا بالدولة لأن الجوع كفر

أين الفطور؟ يا صاحب العبور؟

إنها نصوص بعيدة عن الشعرية هي أشبه بلافتة سياسية فأغلبها إفرافات إيديولوجية أفقدت النص جماليته، نصوص موحدة أسلوبياً وفكرياً، ذلك ما يؤكد أن الوعي السياسي قد فرض أسلوباً موحداً على النص، وإن اختلفت منطلقات ذلك الوعي. لقد اتسمت تلك النصوص - في أغلب الأحيان - بالعبثية، شعرياً وإيديولوجياً، ومرد ذلك يعود إلى عدم نضج التجربة السبعينية وارتكازها على المواقف الحماسية التي فرضت عليها توظيف لغة متميزة بلهجتها الصارخة لتجعل الموقف الاجتماعي يطغى على البنية الشعرية، ويزيد في تقريريتها على نحو ما يبرزه هذا المثال:

لنبحث عن لغة جديدة للحجاج

ولنتذكر

أن المعركة أصبحت تتطلب أسلوباً جديداً

والحب ثورة لا يمارس في الخفاء

لنبحث عن كلمات الرفض

من أفواه الجياع الحاملة بالكسرة الخضراء

من أيدي المستضعفين

من سواعد الأمهات الكادحات

من جبين الفلاح المحترق تحت الشمس...

من اهتزازات العامل المتعطش إلى الأيام الزرقاء (15)

لقد هيمنت المفاهيم الإيديولوجية على النصوص الإبداعية التي أصبح

العديد من كتابها لا يفرق بين النص الأدبي كقيمة فنية وحضارية وأخلاقية وبين الخطاب الإيديولوجي.

يا فقراء العالم

لنبحث عن كسوة جديدة لعصر العراء

فالرب أصابه الخجل والحياء (11)

لقد تعددت هذه الخاصية الفكرية عبر النصوص الشعرية السبعينية، وجاءت بصيغ مختلفة ساهمت في عزل النص الشعري.

يتفجر الزب في الصحراء

الخمرة في جبي وعلى المنبر ويغرد بغل كالبقرة والصخرة

تسبح كالشجرة (12)

إنها ألفاظ وتراكيب عبثية، تبدو عاجزة عن تحديد المفهوم الدلالي المقصود. وتستمر تلك النصوص في عبثيتها، فهذه ربعة جلطي في ديوانها * تضاريس لوجه غير باريصي " تقول (13):

اشتراكيون رغم مكبرات الصوت (الآذان)

والعيون الصفر وأصداء الخوالي لا العصي... لابريق الحديد

يرونا

ولا تهديد إلحاجين

والصرخة المطلبة بالأسيد في الأزقة

الخالية

اشتراكيون نغني ملحمة القمع فوق الزوارق (المجتمع)

هي نصوص تزييف الواقع وتسعى لتفتيته بدل لم الشمل. فهي تمارس نوعا من الإرهاب، لأن التعامل مع الواقع يكون تعاملًا منطقيًا، وليس مزايدات سياسية وإيديولوجية، ذلك أن النص الشعري مملكة القارئ مثلما هو مملكة الشاعر، ومن ثم فإن الغش بالقيم التي لها قداسة خاصة في المملكة يجعل النص الشعري مختلفا في وجهته الإبلاغية....

قد يجد القارئ نصوصا - على قلتها - يتقاطع فيها الخطاب الإيديولوجي مع الخطاب الجمالي، ولعل عمار بن زايد في ديوانه "رصاص وزنايق" يبدو

متميزاً، حيث ابتعد عن الألفاظ والتراكيب الخطابية الصاخبة، التي اتسمت بها جل النصوص السبعينية، فنصوصه تتميز بأفق شعري أكثر منه أفق إيديولوجي. من ذلك، هذا النموذج الذي عبر من خلاله عن رفضه لمعطيات الواقع بلغة هادئة ذات نكهة ساخرة:

قد جئتم يا سادتي لما طغت عين الدجي

مثل النبي المنتظر

في جبهي شمس وفي كفي القمر

فلتذبخوا هذا النبي القادم (14)

هو نموذج من النماذج التي تبرز تقاطع الخطاب الإيديولوجي والفني في التجربة الشعرية السبعينية، ولم ترق - في مجملها - إلى ما حققته تجربة حركة الحداثة. ومن النماذج التي يتقاطع فيها الخطاب الإيديولوجي مع الخطاب الفني قصيدة " ثلج " لمحمود درويش، التي يجسد فيها هطول الثلج والاندهاش الجمالي من تلقاه، يقول (15) :

البياض مفاجأة

حين عريت نافذتي

شدني من مناحي

النديف

الذي كان يهطل متتدا

مانحا كل شيء نصاعته

ومداه الشفيف

شدني

كان دوامة من رفيف

جذبتني لها

فرحنا معا وانطلقنا

نرفرف من غير ظل

ونرقص بين الصعود والهبوط

يبرز النص التناغم مع حركة الثلج المتراقصة المعبرة عن الفرح الإنساني، حيث تركت الذات كل أعباء الحياة اليومية من خلال عملية انجذابها إلى الثلج وقد قادها ذلك إلى اكتشاف الجمال من حولها، حيث تحول كل شيء إلى بياض.

ثم أشرقت الشمس من فوقنا

فسقطنا

وانحللنا معا

في ربابة هذا السواد الأليف

إن النص يحيل على الحلم الجميل لحظة الصفاء النفسي والروحي، أو لحظة انسجام في الوجود ولحظة التناول المطلق، من خلال ذلك التناقض الموجود بين البياض والسواد، والثلج والشمس، الحيوية والرتابة، فالثلج رمز للذات الجميلة، في حين أن الشمس رمز للسلطة والقمع.

يكشف النص عن ذلك الانسجام بين الثلج وبقية الأشياء (العشب، والشجر، والفتيات...) لأن حركة الثلج لم تكشف عن جوهر الجمال في الأشياء فحسب بل كشفت أيضا عن القبح في الشمس بوصفها رمزا لكل ما هو جائر. لذا، فإن التجربة الجمالية هنا حسية انفعالية تمظهرت بشكل حسي انفعالي صوري، مما جعلها تحتل عدة أنساق من الخطاب: نفسي، وروحي، وسياسي، وجمالي.

لقد سيطرت الإيديولوجية على جيل السبعينات، وغلبت عليه المواقف السياسية، وهذا تأثرا بالشعرية السائدة آنذاك، غير أن هذا التجربة في عمومها تعد أنموذجا لتجارب غير جزائرية ومع وجود أصوات اعتمدت قاموسا لغويا معاكسا للمعايير السبعينية، كمحمد مصطفى الغماري، إلا أن رؤيته كانت ضيقة وقد ظل

الصراع قائما بين قطبين متناقضتين: اليساري/ اليميني، لتدخل الشعرية عمق الإيديولوجية وتفقد في النهاية قداستها.

إن التجربة السبعينية، مع ما اتسمت به من سمات متميزة ، كانت بحق محاولة لاستعادة اللسان العربي والشروع في بناء أرضية شعرية جديدة تكون ذات خصائص متفردة بعد أن تعمق رؤاها وتتمي تجربتها.

- الإحالات والمواضع:

- 1 - السيميوطيقا والعنونة د.جميل حمداوي عالم الفكر الكويت العدد (03) يناير مارس 1997 ص 99
- 2 - المرجع نفسه ، ص 100-101
- 3 - المرجع نفسه ، ص 106
- 4 - الفضاء الروائي في الجازية والذراويش لعبد الحميد بن هدوقة، دراسة في المبنى والمعنى، الطاهر رواينية، مجلة المسألة، اتحاد الكتاب الجزائريين، العدد (1) 1990 ، ص 18.
- 5 - شعرية السبعينات في الجزائر، القارئ والمقروء علي ملاح، منشورات الجاحظية- الجزائر 1995- ص 43
- 6 - الأوراس في الشعر الجزائري ودراسات أخرى، د/ عبد الله الركي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر 1982، ص 110
- 7 - وعي الحداثة، دراسات جمالية في الحداثة الشعرية، د/ سعد الدين كليب، اتحاد الكتاب العرب دمشق 1997، ص 128
- 8 - المرجع السابق، ص 130، نقلا عن :
Adorno Theodor , Esthetic theory, London 1985,p.331
- 9 - شعرية السبعينات، ص 25/22
- 10- المرجع نفسه، ص 13
- 11- المرجع نفسه، ص 16
- 12- المرجع نفسه، ص 17
- 13- المرجع نفسه، ص 48
- 14- المرجع نفسه، ص 51
- 15- وعي الحداثة، ص 141-143